تنظر باحتقار شديد وعداء متأصل ، الى كل ما يمت بصلة الى التجارة والمال والربا] (ص ١٩) ، كما كان الزبائن الاساسيون [للمرابين اليهود ، هم النبلاء والاقطاعيون من ملاك الارض ، والحرفيون والفلاحون ايضا] (ص ٢١) وكان هذا سببا اساسيا من اسباب العداء ، بين الجاليات اليهودية والنظام الاقطاعي ، اذ كان الاسياد يجدون انفسهم مضطرين للتنازل ، لصالح المرابي والتاجر ، عن جزء هام من فائض القيمة، كما كان المرابي يستولي ، ايضا ، على جزء اخر من فائض القيمة الذي ينتجه الحرفيون ، وبصورة خاصة الفلاحين . اذن ، فبذور المسالة اليهودية والنزعة العنصرية ، كما يكتشفها الدكتور العظم، تكمن في نوعية علاقات الانتاج المسيطرة على مجتمعات العصر الوسيط الاقطاعية ، وقد وجدت التربة الملائمة لانمائها ، في المرحلة التالية التي تتسم بطابع ظهور البرجوازية ، وبدء عملية تطور العلوم والصناعة الحديثة التي ولدت الرأسمال الاحتكاري ، ولقد استمر الرأسمال التجاري والربوي اليهودي في تأدية دوره ووظيفته ، وفي الازدهار والتوسع ، حتى [نهاية العصور الوسطى ، اي حوالي القرن الحادي عشر للميلاد] (ص ٢٣) وستتبين لنا ، خلال رصد حركته ، في الفترة اللاحقة ، عملية انهياره في كل منطقة اوروبية اخذت تخرج من اقتصاد العصر الوسيط الزراعي ، ومن ثم هجرته ، وهذا يعني هجرة اليهود الطوعية والقسرية باتجاه المناطق الاكثر تخلفا ، اقتصاديا واجتماعيا ، اي حيث ما زال نمط الانتاج الاقطاعي سائدا ، ولم تتهدم اسسه بعد ، في روسيا واوروبا الشرقية .

مع بدايات القرن الثاني عشر الميلادي ، أخذت تتبدى ، بوضوح ، اثار التحولات البطيئة والمتراكمة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية [في اوروبا الغربية] (ص ٢٤) ، وبعبارة اخرى [نمت البرجوازية التجارية المسيحية ، داخل رحم مجتمع الاقطاع ، استجابة لحاجة الانتاج الصناعي المتوسع في المدن ، لبيع سلعه ومنتوجاته عن طريق تصديرها](ص ٢٥) ، وكما يصف ماركس الرأسمال الربوي [انه يفقر نمط الانتاج ويصيب القوى المنتجة بالشلل ، عوضا عن ان يطورها ، كما انه لا يغير نمط الانتاج ، بل يتعلق به بقوة كالطفيليات فيزيد من بؤسه] (ص ٢٥) لذا ادى بروز البرجوازيات التجارية المحلية ، في اوروبا الغربية ، ابان تلك الفترة ، الى صراع عنيف ودام ضد ممثلي الرأسمال البضاعي القديم ، وحيث ان المجرى التاريخي لا بد الا ان يسير الى الامام ، حتميا ، ولا يمكن ايقافه ، [كسر الاحتكار السابق للتجارة من قبل اليهود ، واخرجوا ، تدريجيا ، من السيطرة عليها في اوروبا الغربية](ص ٣٤) فاتجه قطاع منهم نحو التمركز في ميدان الربا الخالص ، وتعامل كبار المرابين اليهود مع الملوك والامراء والنبلاء ، وتعاطى صغارهم العمل مع الجماهير الشعبية من حرفيين وفلاحين ، نتيجة لهذا الوضع ، اصطدم الرأسمال اليهودي ، بكافة الفئات والطبقات الاجتماعية ، وخصوصا البرجوازية النامية ، مما عرض اليهود لاسوأ انواع الاضطهاد والمذابح الدموية ، واخذ يؤدلج هذا الصراع ، على نحو فكري ، بحيث يبدو وكأنه صراع ديني جنسي او عرقي ، ولكن [الربا رافعة قوية ، في نفس الوقت ، في تطوير الشروط المسبقة للرأسمال الصناعي ، من حيث انها تقوم بالدور المزدوج التالي ... اولا انشاء ثروة نقدية مستقلة ، تأخذ مكانها الى جانب ثروة التاجر بصورة عامة ، وثانيا الاستيلاء على شروط العمل ، اي تدمير مالكي شروط العمل القديمة] (ص ٣٥) من هنا تولد اتجاه اخر بين اليهود الاغنياء ، عدا عن هجرة اليهود الفقراء الى اوروبا الشرقية المتخلفة، هذا الاتجاه الهام [الذي سلكه قطاع من اليهود في اوروبا الغربية ، بعد اقتلاعهم من مواقعهم الاقتصادية القديمة ، كان الاندماج في النظام الرأسمالي ، والدخول بشكل او باخر ، في صفوف طبقته السائدة والمشاركة في صنعه وتطويره] (ص ٣٦) ، وبصورة عامة ، يمكننا القول ، انه مع مجيء القرن التاسع عشر ، كانت الشرائح العليا من البرجوازية اليهودية مندمجة بصورة طبيعية في الطبقة الرأسمالية ، كما كانت الشرائح الادنى والافقر منها ، التي لم تهاجر ، مندمجة ايضا ، ولكن بشكل اقل . وعبرت البرجوازية اليهودية الجديدة عن التلاؤم الذي حققته مع النظام الرأسمالي على اصعدة مختلفة ، منها الصعيد الاقتصادي ، فلم تعد بارزة [برؤوا خاصا في عالم المال كما كانت في السابق] ، (ص ٣١)